الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
برنامج عودة إلى الماضي

الحلقة الرابعة والعشرون

مقدمة البرنامج...

مؤثرات..

مساعد: السلام عليكم ورحمة الله..

أبو سالم وسالم: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ابو سالم: أهلاً بك يا ابن أخي. لقد ساورنا خوف من تأخرك عن المجيء في الموعد المحدد.

مساعد: وهل يسعني أن أتأخر يا أبا سالم وقد بدأت أكتشف في سالم ما لم يكن يخطر لي في بال.

سالم: " يضحك " لا تجعلني يا مساعد أظن في نفسي شيئاً ما ليس بالشيء.

أبو سالم: أنا شخصياً أميل إلى رأي مساعد.

سالم: وأنت أيضاً يا أبي.

مساعد: نحن لا نقول هذا الكلام تملقاً لك ولا سعياً إلى إرضائك لكن الذي اكتشفته أمس وأنا أستمع إليك تتحدث عن القصة في كتاب الله قد سلط ضوءاً على دور التربية الإسلامية في النفوس.

سالم: وهل تقول لي ما هو هذا الدور يا مساعد؟

مساعد: القاعدة المتفق عليها والتي لا يختلف اثنان في أنها حقيقة إسلامية أساسية أن هذا الدين هو دين الفطرة والمقصود بالفطرة هو التوازن بين الملكات والطاقات المختلفة عند الإنسان. وقد جاء الإسلام على صورة هذا التوازن وبالتالي جاء تدعيما له. وأمس رأيت فيك القواعد العميقة له.

أبو سالم: وقبل أن يتفرع بنا الحديث أضيف إلى ما ذكرت يا مساعد أن ظاهرة التوازن ليست قاعدة في صميم البنية الإنسانية الخلقية وحسب بل في صميم البنية الجسدية أيضا بشهادة الأطباء. وليست قاعدة في بنية الإنسان الشاملة فقط بل هي قاعدة الكون والطبيعة والحياة.. كل شيء يحتفظ بسلامته وصحته ما دام محتفظاً بالتوازن بين القوى والعناصر المختلفة التي يتألف منها.. فإذا زال التوازن فقد زالت الصحة وبالتالي زال الوجود نفسه..

سالم: إنني مع تقديري للكلام الجميل الذي سمعته منكما ما أزال أجدني أمام معميات.. فما هو الذي اكتشفته يا أخ مساعد؟

مساعد: الذي اكتشفته يا سالم أنك لم تعد ترفض ما ترفضه لمجرد الرفض.. ولم تعد تجد متعة في معارضة الأوضاع القائمة والعادات والأعراف والأفكار بسبب من نوازع نفسية خفية عندك.. لقد استعدت ما يمكن أن أطلق عليه اسم: الرغبة الموزونة

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

وقد أقول المحايدة في معرفة الحق. إن دراستك لكتاب الله واهتمامك بالجانب القصصي منه بصورة خاصة والتعليقات التي سمعتها منك في الجلسة الماضية كلها في رأيي مؤشرات إلى أنك قد انطلقت من بداية سليمة تستوحي بها فطرتك وتتحرر معها من كل الأفكار المسبقة.

سالم: الآن أدركت ما تهدف إلى قوله يا مساعد وقد سرني أنك ساعدتني على تحقيق هذه العودة إلى ينابيع الفطرة الإنسانية.

أبو سالم: وتوكيداً لما قاله ابن أخينا مساعد: أقول لك يا سالم إن عجبي من موقفك في امتحانات نهاية السنة الدراسية الماضية لم ينقص حتى وقت قريب. كنت أتساءل: لماذا رفض سالم الاشتراك الجدي في الامتحانات وهو القادر على النجاح؟ ما الذي يريد أن يقوله لنا وأن يثبته لنفسه؟ ولماذا تلك الرغبة الملحة في مخالفتنا في كل ما تعارفنا عليه من الأزياء والعادات والتقاليد..

سالم: ما رأيك يا أبي إذا قلت لك: إنني الآن أعجب لما كنت عليه من قبل؟ وما زلت أتساءل حتى اليوم: كيف سولت لي نفسي أن التعبير عن شخصيتي لا يكون إلا بهذا الرفض المجاني السخيف؟ حتى إذا قرأت كتاب الله وتمعنت بصورة خاصة في قصص الأنبياء والمرسلين بدت لي الحقيقة الإنسانية كما شرحها لنا عز وجل وأدركت أن هذه الحقيقة هي الحق الذي يجب أن ننطلق منه.

مساعد: فهل تقول لنا يا سالم ما هي الحقيقة الإنسانية التي بدت لك من خلال القصص القرآني؟

سالم: بكل سرور يا مساعد.. لقد نشأت وفي ظني أن الإنسان أحد شخصين: إما أن يكون فوق الخطأ مبرأ من كل عيب بعيداً عن كل ضعف وإما أن يكون ساقطاً بكل معنى الكلمة ولا توسط بينهما.. ولما كنت أشاهد أخطاء ترتكب وتقع على مواطن ضعف عند الناس كلهم اعتبرت أن إنسان هذا العصر إنسان ساقط وتشاءمت وصممت على رفض كل شيء وقطع كل علاقة بيني وبينه.

أبو سالم: وكيف صححت رؤيتك يا بني بعد هذه الفترة من التشاؤم الأسود القلق؟

سالم: حين أتيح لي أن أقرأ كتاب الله بتدبر مرة بعد مرة إذا بي أكتشف أن الإنسان لم يخلق مبرأً من الضعف وفي حصانة من الأخطاء.. حتى الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم قد وصفوا لنا في كتاب الله ومن خلال قصصهم الواقعية أناساً عاديين يسري عليهم ما يسري على المخلوقات التي تتعرض للأخطاء. وكم كانت دهشتي وكان عجبي شديدين حين لاحظت أن كتاب الله يعتبر هذه الأخطاء وتلك المواطن من الضعف مظاهر طبيعية تكفي معها التوبة والعودة الصادقة إلى الله عز وجل..

مساعد: هل تعني بهذا أنك اكتشفت ما يسمى اليوم بالحركية الخلقية في الإسلام؟ وبعبارة أخرى اكتشفت روح التسامح وخطة التربية الذاتية المستمرة التي عبر عنها القرآن الكريم بفتح باب التوبة على الدوام واستيعاب الناس بالرحمة الواسعة؟

سالم: الحقيقة يا مساعد أنني اكتشفت حقيقة إسلامية هامة هي أن الإنسان في كتاب الله هو في الأصل والأساس طيب وصالح ومكرم.. فطرته سليمة.. وإيمانه جزء من فطرته.. وأن يتعارض مع هذا كله من الأخطاء والانحرافات يمكن أن يكون ظلا عارضاً لا يلبث أن يزول بالاستغفار الصادق والتوبة النصوح.

أبو سالم: حسن يا بني فقد والله ساعدتنا على تحقيق مزيد من الوضوح في فهمنا لمعاني الخطيئة والتوبة ودور الاستغفار والرحمة وفتحت أمام من يسمعك باباً واسعاً من الأمل والرجاء.

مساعد: أمن أجل هذا كله أعجبت خاصة بقصة آدم عليه السلام التي أشرت إليها في المجلس السابق؟

سالم: صدقت يا مساعد.. من أجل هذا كله أعجبت بقصة آدم عليه السلام وأبي البشر كلهم دون استثناء.

أبو سالم: إذاً حدثنا يا بني.. قل لنا ما هي المواطن التي أثارت إعجابك في هذه القصة؟

سالم: القصة كما يبدو لي قد صورت الإنسان النموذجي في واقعه الحالي.. في قوته وضعفه.. في صموده وانهياره.. في قدرته على استرداد شخصيته النظيفة.. في حاجته إلى العمل والكفاح من أجل تحقيق هذه الشخصية النظيفة..

مساعد: لماذا لا تقدم القصة في مراحلها المختلفة؟

سالم: صدقت يا مساعد أنها يجب أن تقدم على هذا الأساس. وبالطريقة التي تقترحها..

أبو سالم: إن شاينا يكاد يبرد.. أفلا نشربه أولاً؟

مساعد: الحقيقة أن حوارنا مع سالم أنسانا الشاي.

سالم: حسن فأنا أقترح أن نتوقف قليلا لا لشرب الشاي وحسب بل لتناول بعض الحلويات أو الفاكهة.

مساعد: أخاف أن ينقطع خيط الحوار.

سالم: اطمئن يا مساعد خيط الحوار لن ينقطع إن شاء الله.

أبو سالم: خذ يا مساعد هذه فاكهة من الطائف.

مساعد: وهل في الطائف فاكهة من هذا الطراز؟

أبو سالم: يبدو أنك غريب عما يجد من التطورات في البلاد!

سالم: لعل هذا هو خطأنا جميعاً نحن الشباب يا أبي.. إن الحاجة ماسة إلى ملاحقة الأحداث والتطورات التي تتعاقب مراحلها بصورة متسارعة..

أبو سالم: هل يجوز أن يكون شيخ مثلي أعرف بما يجري في البلاد منكما أنتما بالذات؟ الحقيقة أن دنيا عريضة حافلة بالكثير واعدة بشتى احتمالات التقدم تبنى الآن في طول البلاد وعرضها.. ومن الطبيعي أن يستتبع هذا البناء تطوراً في العقلية والنفسية العامة.. أن يشعر الناس بأن في وسعهم أن يعطوا الكثير وبأن يستخرجوا خيراً كثيراً من الأرض وأن يجعلوا منها جنات خضراء..

سالم: لا بد من أن نقوم بجولة نتعرف فيها إلى الجديد في هذا الميدان.

نقلة موسيقية.....

العميد: هل تعلم يا مساعد أنك قد قدمت لي صورة جديدة لولدنا سالم؟

مساعد: أنا واثق يا حضرة العميد بأنك ستجد مثل الذي وجدت بل أكثر من ذلك حين تلقاه بنفسك وتستمع إليه. لقد ثبت لي أن هذا الشاب يطوي في نفسي قدرة عقلية فذة وفطرة لم تستطع فترة الحيرة السابقة أن تفسدها لقد كانت عودته إليها سريعة ومجدية..

العميد: حسن جداً.. هذا يعني أنه سيكون في العام الدراسي القادم من أنجح الطلاب.. ولا أخفي عليك يا مساعد أنك أثرت في نفسي الرغبة في الاجتماع إليه في أسرع وقت ممكن. الآن فقط وبصورة عملية أدركت معنى قوله تعالى: " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ".. فقد جاءته الهداية هابطة كما يهبط النور من ظلمات الفضاء ليشيع الضياء من حوله.

مساعد: صدقت يا حضرة العميد..

العميد: لكنك لم تحدثني حديث قصة آدم كما شرحها لك ولوالده أبي سالم؟

مساعد: الذي حدث يا سيدي الأستاذ أننا لم نكد نتناول الشاي وبعض الحلويات والفاكهة حتى فوجئنا بحادث مفاجيء.

جرس تليفون....

أبو سالم: " يرفع السماعة " ألو.. نعم.. أنا أبو سالم.. ماذا؟ الحرارة شديدة الارتفاع؟ والطبيب يطلبني في الحال؟ حسن.. سأكون عندكم بعد قليل " يعيد السماعة "..

مساعد: خير إن شاء الله يا أبا سالم؟

أبو سالم: أحد أطفالي أصيب بمرض مفاجيء. وقد جيء بالطبيب لفحصه وقد سمعت الباقي.

مساعد: لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا بأس عليه إن شاء الله.

أبو سالم: " قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا " وعلى هذا فأنا أستأذن بالخروج.

مساعد: ولعل الأخ سالما في قلق على أخيه.

سالم: وكيف أتركك يا مساعد؟

مساعد: الأيام طويلة بيننا يا سالم.. اتصل بي تليفونيا متى تشاء ثم نتابع رحلتنا معاً في عودة ناجحة مفيدة إلى ماضينا المشرق الماضي الذي خرج فيه كتاب الله هدى ورحمة للناس كافة..

سالم: حسن.. سأتصل بك إن شاء الله عند أول فرصة وأرجو ألا تكون بعيدة..

مساعد: وسيكون هذا مصدر سرور لي عظيم..

موسيقى نهاية..